ترجمة المصطلح السيميائي عند رشيد بن مالك

الإشكالية والرؤية

د. محمد دقي/جامعة ابن خلدون – تيارت

dekkimeh@gmail.com

الملخص :

يعد المصطلح مفتاح أي بحث علمي والضرورة التي لابد من التسلح بها لفهم أي إجراء نقدي لتحليل النص، فضلا عن كونه القناة التي تربط الفكر الغربي بالفكر العربي، حيث يتجاوز دلالته اللفظية أو المعجمية إلى تشخيص وضبط المفاهيم المنتجَة .

ولقد لاحظ رشيد بن مالك لدى معايشته للوضع المصطلحي السيميائي الغربي شبه إجماع في مختلف الدراسات السيميائية النظرية منها والتطبيقية، فيما يختلف الأمر تماما في الدراسات النقدية العربية المتسمة بالفوضى المصطلحية التي وصلت حدّ التضارب، وهو ما أعاق بلورة نماذجا مؤسسة لخطاب نقدي سيميائي عربي منسجم ، ويكفي تصفح بعض القواميس المتخصصة في السيميائية بعمومها لإدراك عمق الأزمة .

فكيف يوّصف بن مالك إشكالية نقل المصطلح السيميائي الغربي إلى المدونة النقدية العربية ؟ وما هي جهوده للتخفيف من غلواء هذه الإشكالية - الأزمة - ؟

الكلمات المفتاحية:

المصطلح – المصطلح السيميائي – القاموس – رشيد بن مالك – التحليل السيميائي

1- إشكالية المصطلح السيميائي عند "رشيد بن مالك":

لدى معاينة "رشيد بن مالك" للوضع المصطلحي السيميائي عند الغرب الأوربي وجده محل شبه إجماع الدراسات بينما يختلف الأمر تماما في الدراسات النقدية العربية حيث " لم ترق البحوث السيميائية بحكم التضارب الموجود في المصطلحات المستعملة، إلى بلورة نموذج مؤسس لخطاب علمي دقيق يضبط مصطلحاته سلفا"[1].

ويكفي الاستعانة ببعض القواميس المتخصصة في السيميائية (في عمومها) لإدراك عمق المشكلة حيث السمة الغالبة في البحوث السيميائية العربية، هي هيمنة الجهود الفردية التي لا تساعد في جميع الحالات على ترقية البحث، وتحاول أن تقفز على إنجازات سابقة طموحة، وبحوث لسانية وبنيوية مهّدت لظهور السيميائيات في المؤسسة العلمية، إذ لا يمكن أن يتقدم البحث قيد أنملة ما لم تتشكل فرق يبحث في اللسانيات والسيميائيات، لتلتفت إلى هذه الانجازات وتضع خطاباتها تحت المجهر النقدي، وتعاين مواطن قوتها وضعفها وتمسك بالنسق الابستمولوجي العام الذي حامت حوله [2].

وحتى الجهود الجماعية الممثلة في جامعة الدول العربية- على سبيل التمثيل- والتي قامت بأول مبادرة لها سنة 1945م، أقرّت من خلالها وجوب توحيد المصطلحات، ثم ميثاق الوحدة سنة 1945مالذي أكد ضرورة السعي لتوحيد المصطلحات العلمية والحضارية، ودعم حركة التعريب وكان من نتائج ذلك، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لمجموعة من المعاجم كان من ضمنها المعجم الموحد للمصطلحات اللسانيات (إنجليزي- فرنسي- عربي)، لاحظ الناقد أنّ"نسبة غير قليلة من هذه المصطلحات تضم ترجمتين، بل حتى ثلاث ترجمات في بعض المواضيع ... الترجمات الموضوعة تفتقد إلى

الشمولية من حيث افتقارها إلى القدرة ليس فقط على التعامل مع المصطلح من منطلقات نسقية، بل على ضبط المفاهيم في أصولها ومختلف الأسيجة التي زرعت فيها"[3].

ولا شك في كون الخطاب النقدي السيميائي يطرح مصطلحات عديدة لمفاهيم متقاربة، خاصة فيما يتعلق بتحليل النصوص الأدبية المبني على" إقامة نماذج منطقية تحكم البناء الشكلي للمسار السردي ولانبثاق الدلالة"[4]، الأمر الذي صعّب من عملية ترجمة مصطلحات هذا الخطاب، ما أدى في النهاية إلى اختلاف واضطراب مصطلحي حتى لدى نقاد القطر العربي الواحد، وقد رصد " رشيد بن مالك" بعض النماذج المصطلحية السيميائية التي تكشف عن عمق هذه الفوضى ومنها :

أ- الترجمات العديدة للمصطلح الواحد ومن ذلك ترجمة مصطلح "connotation" إلى: التضمن / الدلالة الحافة/ الطاقة الايحائية / الدلالة المتحولة .

ب- الترجمة الواحدة لمصطلحين مختلفين، ومن ذلك ترجمة "ج- بوهاس" و"جمال الدين كرغلي" مصطلحي " narration" و" récit " إلى "السرد" .

ج- الترجمتان المختلفتان للمصطلح الواحد،كترجمة "عبد العزيز طليمات" مصطلح"disjonction " إلى "الانفصالات" و "الإنفكاكات"، والأمر ذاته فعله "سامي سويدان" حينما ترجم " histoire " بالحكاية" و"الخبر " [5]

وتعود أسباب هذه الفوضى في ترجمة المصطلح النقدي عموما، إلى عوامل عديدة ثقافية وذوقية ولغوية، فبعض المشتغلين على هذا العمل " ثقافته أجنبية، يقرأ الأدب ونقده باللغة الأجنبية، وبعضهم ثقافته عربية يقرأ الأدب الأجنبي ونقده باللغة العربية، وبعضهم ثقافته مضطربة، ينتقل بعشوائية بين كافة الدراسات "[6].

بل أنّ هذا الاضطراب المصطلحي ظلّ رهين أشخاص معينين حتى من ذوي المنهل الثقافي الواحد فنجد مثلا أنّ اصطلاحات نقدة المغرب العربي تمتح من بئر الثقافة الفرنسية، وتميل نحوها كل الميل

بينما نجد الحال مختلفا عند نقدة المشرق العربي، الذين ينهلون من جب الإنجليزية، وما بين الفرنسية والإنجليزية بون شاسع "[7].

وفيما يعزي "عبد الله ابراهيم" إشكالية ترجمة المصطلح النقدي إلى عاملي :

حضور الرؤية وغياب المنهج، أو إلى غياب الرؤية وحضور المنهج [8]، فإن"رشيد بن مالك" يرجع الأمر إلى تلك القطيعة الأبستمولوجية للناقد العربي مع تاريخه ولغته، بعد أن خبر تلك الصعوبات التي واجهته في نقل المصطلح و بعدما تبين له غموض المصطلحية في البحوث السيميائية العربية من جهة وتشتت ترجماتها من جهة أخرى، الأمر الذي اضطره هو الآخر أن يتخذ لنفسه توجها خاصا في ترجمة المصطلح النقدي السيميائي السردي مستعينا بجهود آخرين، اشتغلوا عل الترجمة المصطلحية السيميائية الغريماسية كلما وجد في ذلك إقناعا وعلمية ومرونة، ومرتكزا " أساسا على ضبط مفاهيم المصطلحات في اللغة الأصلية والتحقق أولا من توافقها مع الإحالات الدلالية في اللغة الهدف والنظر ثانيا فيما إذا كان استعمال هذه المصطلحات مطردا، أم أنه يشكل خرقا لما هو جار به العمل في البحوث السيميائية الراهنة . "[9]

إنّ عملية اختيار المصطلح المناسب تتطلب حسب بن مالك، الانطلاق في قراءة النص الأصل وتمثله، ومن ثم فهم مصطلحاته الأجنبية الأساسية، بغية تحقيق قدر كاف من الفهم والتأويل، ثم نقل هذه الحمولة المعرفية في مرحلة لاحقة نحو اللغة الهدف (العربية)، ففي النهاية عملية الاختيار هذه تتوقف على " معاينة المصطلحية المعتمدة في البحوث

والقواميس العربية، وضرورة الاستناد إلى ما هو شائع منها، والاعتماد في حالة حدوث الاختلافات بين الباحثين على جهود الباحثين القدامى في المجالات اللغوية والفلسفية، والارتكاز على الامكانات الاشتقاقية التي تزخر بها اللغة العربية "[10]

وكعمل منهجي إجرائي في ترجمة المصطلح النقدي السيميائي نحو اللغة العربية، وضمن نفس التوجه، يحدد الباحث مرحلتين أساسيتين لابد للمشتغل في المصطلحية أن يمر عبرهما:

1- ضرورة حصر المصطلحات في المعاجم والبحوث العربية المتخصصة .

2- ترجمة ما استعصى نقله وفق عمليات التوليد والإشتقاق والتعريب، حيث لابد لهذه الخطوة المنهجية أن تندرج" ضمن مشروع علمي لا يملك قيمته الحقيقية إلّا إذا تحول موضوع تحرٍ جماعي"[11]

2 – قراءة في قاموس" مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص":

لما رأى الباحث أنّ السيميائية السردية من أغنى التيارات والمناهج النقدية بالجانب المصطلحي فقد أفرد لمشروعه مستوى آخر من البحث متعلق بالتأليف القاموسي، وكان من نتائج ذلك إنجاز قاموس متخصص أفرد له عنوان " قاموس مصطلحات التحليل السيميائي " والذي سنحاول قراءته من حيث الشكل والمضمون معا، ولعل ما يبرر لنا ذلك المؤلّف نفسه الذي تشير ترسيمة (schema) غلافه إلى شكل ومضمون.

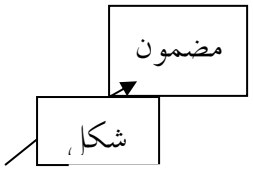

غلاف القاموس

كما أنّ الصناعة المعجمية الحديثة أصبحت تتعامل مع القاموس باعتباره خطاب تام ونص أيضا[12]

2-1- الشكل:

تضمن القاموس 272 صفحة مرقمة على قياس 25سم/ 16سم، وحوى 228 مصطلحا (عربي – فرنسي- انجليزي) وفق ترتيب ألف بائي فرنسي (200 مادة و27 ترسيمة سردية وشكلا توضيحيا) .

وقد ذيّل الباحث عمله بعدة إحالات أحيانا تكون عقب الانتهاء من الترجمة والشرح، وأخرى أثناء التحليل، من أجل العودة إلى المراجع وما اتصل بدلالة المصطلح، معتمدا الإحالة الداخلية بالإشارة بسهم ( ) بعد كل مادة، من أجل الإطلاع وفهم المصطلحات الموالية، تقليدا بما فعل كل من "غريماس" و"كورتيس" في " القاموس المعلقن في نظرية اللغة" حيث عدّه الباحث المرجع الرئيس الذي اتكأ عليه في إنجاز مؤلفه .

وقد جاءت افتتاحية القاموس لتضيء أهم جوانب المتن، ومنها توجهه بهذا المؤلف الذي يحتوي أهم مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص الى المشتغلين بهذا الحقل، مشيرا إلى عدم تقيده بالمصطلحات المؤسسة للنظرية السيميائية التي جاء

بها "غريماس" في قاموسه فقط، رغم أنها تشكل نسبة كبيرة في هذا العمل، باعتبار أنّ الحوار لايزال مستمرا بين مختلف التيارات المتبنية للنظرية السيميائية .

وفي موضع آخر، يؤكد"رشيد بن مالك" قناعته بعدم تحقق المشروع العلمي الناجح، إلّا من خلال تحوله إلى موضوع بحث جماعي، معتبرا رغم ذلك أنّ المصطلحات التي ترجمها كافية خلال الوضع الراهن، حيث ألحق كل مصطلح بشرح وإحالات تساعد على فهم سياقه الدلالي .

لينهي افتتاحه، بالإشارة إلى أنه أنهى هذا العمل مع بداية تسعينيات القرن الماضي، وقد سمحت مدة تأخره عن الصدور (إلى غاية سنة 2000)، إلى مراجعته، تماشيا مع العديد من المستجدات التي تتعلق بالمصطلح [13]

وفي كلمة تقديم المؤلَف من طرف "عبد الحميد بورايو"، أكّد فيها حاجة السيميائيات في وقتها الراهن لمثل هكذا عمل معجمي متخصص، يستعين به الباحث من أجل تجاوز مصاعب الترجمة وتخطي فوضى الاستعمالات المصطلحية الجاري بها العمل، وهو جهد تأتي من باحث زاوج بين النظرية والتطبيق، ويعد أحد الباحثين القلائل في الجزائر والوطن العربي الذين عنوا بالأبحاث السيميائية ذات التوجه الشكلاني (مدرسة باريس)، مشيرا إلى مراعاة الباحث لاحتياجات الدراسات العربية وواقعها في هذا المجال، وكذا سيرورة بعض المفاهيم في واقع الأبحاث المنجزة خارج دائرة الثنائي "غريماس / كورتيس". [14]

وفي مقدمة المؤلَف أشار الكاتب إلى أنّ فكرة إنجاز معجم في السيميائيات راودته منذ سنة 1983م، بسبب الصعوبات التي اعترضته حين كان يلقي دروسه الأولى في تحليل الرواية الجزائرية من المنظور السيميائي لطلبة معهد اللغة والأدب العربي بجامعة تلمسان، وكذا الصعوبات الناجمة عن عدم استعداد هؤلاء الطلبة للتعامل مع المنهج الجديد في غمرة طغيان المناهج التقليدية، وتخوف بل رفض لبعض الدوائر العلمية في الجامعة الجزائرية لهذا التيار الوافد من الغرب، مشيدا في الآن ذاته بتشجيعات بعض الأصدقاء في الصمود ومواصلة البحث .

معرجا على توصيف واقع الترجمة المصطلحية المضطرب في المعاجم والدراسات العربية المتخصصة على قلتها، ومقرا بخطورة عمله في حقل معرفي لم تستقم فيه بعد المصطلحية بشكل نهائي، ومعتبرا جهده مجرد اقتراح لإثارة ترجمات أخرى في إطار الحوار العلمي المثمر[15].

ليختم الباحث مؤلفه بملحق من 62 علما مرتبا ترتيبا ألف بائيا عربيا، ثم ثبت للمعاجم والمراجع العربية والأجنبية التي استند عليها في تأليف قاموسه .

2-2- المضمون:

نشير بدءا إلى أنّ هذا القاموس حظي بقراءات علمية من طرف العديد من الباحثين، على غرار "عبد القادر شرشار" بمداخلة له بعنوان" قراءة لقاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص" في الملتقى الوطني الأول (السيمياء والنص العربي) بجامعة بسكرة (15-17 نوفمبر 2000).

فهو مؤلف يتناول المصطلحات السيميائية السردية المعتمدة في تحليل النصوص الإبداعية، فكان لهذا الأثر الإبداعي أهميته البالغة في معالجة مصطلحات المادة السيميائية بطريقة علمية، يسهل على القارئ العربي فهمها والاستعانة بها، وهو بذلك يعد"خطوة جادة ومضافة لجهود الناقد في ساحة المصطلح السيميائي العربي"[16]، بعد أن لاحظ المؤلف تلك الفوضى المصطلحية الرائجة بين الباحثين العرب، وهو الذي عايش وخبر الأمر عن قرب بعد سنوات من التدريس

والاشتغال على البحث السيميائي السردي، حيث اتخذ لمعالجة قضية المصطلح النقدي وجهة نظر مختلفة، معتمدا تعريف المصطلح كما ورد في التنظير الغربي ثم محاولة تحديده باللغة العربية دون الاهتمام بباقي الترجمات، إذ يقول مؤكدا ذلك: " في هذه اللحظة أستبعد تماما الحديث عن توحيد المصطلح، و أُثير النقاش عن توليفة تفضي بنا إلى إيجاد تجانس في الخطاب اللساني والسيميائي على حد سواء" [17].

وبعد أن يؤكد إتكائه في تأليف قاموسه على معجم "غريماس وكورتيس" (القاموس المعلقن في نظرية اللغة)، يؤكد صعوبة الأمر" لم يخطر أبدا ببالي أني سأترجم هذا القاموس لوعورة خطابه وصرامته العلمية وعمق أفكاره وتنوع حقوله المعرفية وأرمادته المصطلحية، التي لم يجرؤ أحد من الباحثين لا في اللسانيات ولا في السيميائيات، التصدي لها ونقلها إلى اللغة العربية ..." [18].

وعن أهم خطوات الباحث التي إتبعها في ترجمة المصطلح النقدي هي" أن نبدأ أولا بحصر المصطلحية في المعاجم والبحوث العربية المتخصصة، ونجنح ثانيا إلى ترجمة ما استعصى نقله وفق عمليات التوليد والاشتقاق والتعريب"[19]، وهوما حاول أن يجسده فعليا في تأليفه لقاموس التحليل السيميائي للنصوص، والذي سنعاين من خلاله مجموعة من أهم المصطلحات السيميائية التي نقلها إلى العربية ومدى إسهامه في إثراء المكتبة المصطلحية العربية .

وقد اخترنا نماذجا لبعض المصطلحات التي نعتقد أنها الأكثر تداولا في الدرس النقدي السيميائي حيث نورد المفهوم باللغة الأجنبية (الفرنسية) كما صاغه كل من "غريماس" و"كورتيس" في " القاموس المعقلن في نظرية اللغة"، ثم نورد أيضا بعض ترجمات المصطلح إلى العربية من طرف عدد من الباحثين العرب ونقارنها بترجمة "رشيد بن مالك"من جهة، ومع المفهوم العام عند كل من"غريماس" و"كورتيس" من جهة أخرى.

أ - مصطلح (Opposant):

وقد ورد في "القاموس المعقلن في نظرية اللغة" كمايلي :

Quand le rôle d'auxiliant négatif est pris en charge par un acteur différent de celui du sujet de faire il est opposant et correspond . alors du point de vue du sujet du faire à un non-pouvoir faire individualisé qui, sous forme d'acteurautonome .
entrave la réalisation du programme narratif en question [20]

فقد ترجمه "سعيد بنكراد" إلى(معيق) بالمفهوم المتعلق بالعرقلة المادية وعبد "السلام المسدي" إلى (مناوئ)، في حين يتفق "رشيد بن مالك" و "محمد ناصر العجيمي" على ترجمتة إلى (معارض) بمفهوم المعارضة الفعلية أو المادية، حيث يعتبر (المعارض) " شخصية تضع الحواجز أمام الفاعل، وتحول بينه وبين تحقيق الرغبة وتبليغ الموضوع "[21]بتعبير الباحث، مؤكدا أنه لايبالغ إذا قال أنّ "غريماس"" أول من ابتكر هذا المصطلح، ويمكن أن نسجل أول ظهور له في فصل موسوم ب إيزوتوبيا الخطاب من كتابب الدلالات البنيوية[22].

ب- مصطلح (Isotopie) :

لقد اقتبس "غريماس" مصطلح (Isotopie) من علم الفيزياء والكيمياء سنة 1966م، وقد ورد في "القاموس المعقلن لنظرية اللغة " كمايي:

A.J. Greimas a emprunté au domaine de la physique – chimie le terme d'isotopie et l'a transféré dans l'analyse sémantique en lui conférant une signification .[23]

ثم تعمم بعد ذلك استقباله في تحليل الخطاب، حيث يشير إلى جملة الوسائل المساهمة في الانسجام القائم على تكرار نفس السمة على امتداد الملفوظات، ويتعلق خاصة بالتنظيم الدلالي للخطاب[24].

حيث توسع الاختلاف حول هذا المصطلح بين النقاد العرب في نقله الى العربية، فقد ترجمه "محمد الناصر العجيمي" إلى (قطب دلالي) ، و"السعيد بوطاجين" و "يوسف وغليسي" و"عبد القادر فيدوح" و"محمد مفتاح" إلى (تشاكل)، فيما ترجمه آخرون إلى أكثر من ترجمة كما فعل "سعيد علوش" الذي ترجمه إلى (تشاكل) و(تماثل في الشكل)، بينما يعتمد "رشيد بن مالك" هجرة المصطلح فيعرّبه إلى (إيزوتوبيا)، والتي تضمن " التحام الرسالة أو الخطاب، وهي بمثابة المستوى المشترك الذي يرد ممكّنا اتساق المضامين، وينبغي أن يفهم من المستوى المشترك ثبات بعض الأدلة على مستوى الجلمة حيث يمكن أن يتجدد ثبات دلالة واحدة أكثر من مرة، على امتداد السلسة الجملية ليعطي إيزوتوبيا تؤدي إلى التحام مجموعة من السميمات التي تشكل الجملة "[25].

معتبرا بذلك الإيزوتوبيا نوعان :

الإيزوتوبيا الدلالية وتتعلق باتساق المضامين، والإيزوتوبيا السيميولوجية وتتعلق بالسيميمات التي تشكل الجملة، ولعل نقل هذه الكلمة – إيزوتوبيا-إلى الروسية (في الفيزياء والكيمياء) وإلى الفرنسية (في السيمياء)، هي التي شجعت الباحث أن يري حق العربية في ضمها إلى قاموسها، مثلما أفادت الفرنسية من مصطلحاتها مثل (Amiral) من أمير البحر و (magasine) من مخزن، إذ يمكن الإقتراض المبرمج الذي تصوغه المعاهد المتخصصة أو جماعة اللسانيين أو لجنة بحثية مصطلحية، مع مراعاة تكييف الأصوات الذي تحتّمه اللغة ومخارج الحروف[26]

ج- مصطلح (conjonctiion) :

ورد في "قاموس غريماس وكورتيس" كما يلي:

"En sémiotique narative, il convient de réserver le nom de conjonction, pour désigner paradigmatiquement, l'un des deux termes (avec la disjonction) de la catégorie de jonction qui, sur le plant syntamatique, se présente comme la fonction (la relation entre le sujet et l'objet) constitutive des énoncés d'état. si, paradigmatiquement , conjonction et désjonction sont des contradictoires, il nén va pas de meme au plan syntagmatique ou selon la déstribution du semioitique" [27]

حيث يقابل هذا المصطلح (إتصال) عند" السعيد بوطاجين" بالمفهوم الإتصالي ذاته للكلمة (communication)بينما عند "عبد السلام المسدي" فالمقابل عنده هو (رابط) بالمفهوم الموحي إلى الظاهر والملموس والمادي، فيما يفضل"رشيد بن مالك" المقابل (وصلة) " وهو بذلك يؤصّل للمصطلح بإعادته إلى الجذور" [28]، حيث الوصلة هي ما تصل بالشيء ، ووصل فلان رحمه أي يصلها صلة والوصل ضد الهجران، وليلة الوصل هي آخر ليلة من الشهر، والواصلة من النساء هي ما اتصل شعرها بغيرها، والوصل خلاف الفصل حيث الفصل هو ما بين الشيئين والفصل من الجسد موضع المفصل ... [29]

ولا يختلف مفهوم مصطلح (وصلة) الذي أورده "رشيد بن مالك" عن مفهوم مصطلح (cojonction) المقابل له في قاموس غريماس وكورتيس إذ " في السيميائية السردية ، ينبغي أن تطابق الوصلة ، من المنظور الاستبدالي عنصرا من عنصري مقولة الصلة التي تتقدم على المستوى النظمي كوظيفة (العلاقات بين الفاعل والموضوع) مشكلة لملفوظات الحالة، إذا

كانت الفصلة والوصلة من الناحية الاستبدالية متناقضتين، فإن الأمر يختلف على المستوى النظمي، على نحو ما يظهر ذلك في المربع السيميائي التالي :

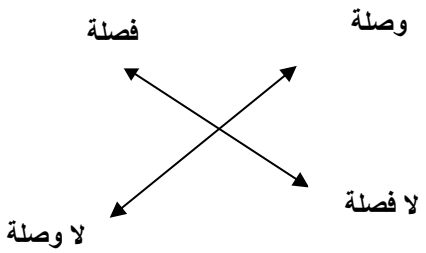

حيث ينبغي أن نميز بين اللّافصلة (يملك بعض الشيء) بين الفاعل و موضوع القيمة، والوصلة (يملك شيئا) "[30]

د - مصطلح (Actant) :

صاغ "غريماس" و "كورتيس" مفهوم هذا المصطلح كمايلي:

"Le terme d'actant renvoie à une certaine conception de la syntaxe qui articule l'énonceéle-mentaire en fonctions (telles que sujet, objet,predicat) indépendamment de leur réalisation dans des unités syntagmatiques (exemples : syntagmes nominal et verbal) et considère le pré-dicatcomme le noyau de l'énonce. c'est dire ainsi que les actants sont à considérer comme les termes- aboutissants de la relation qu'est la fonction. ce concept d'actant est également a in-terpréter dans le cadre de la grammaire des cas (Fillmore) ou chaque cas peut être considéré comme la représentation d'une position actantielle" [31]

وقد اختلف حتى الرواد الغربيون حول هذا المصطلح (Actant)، فهو يمثل (الوظيفة) عند"سوريو" و (الشخصية) عند "بروب" و(الشخصية الأصل) عند "لوتمان" وعند "غريماس"(عامل).[32]

ومن العرب الذين اشتغلوا على المصطلح النقدي نجد "عبد السلام المسدي" الذي ترجمه إلى مصطلح (مفاعل)، معتمدا فكرة تأصيل المصطلح وإعادته إلى جذوره انطلاقا من الجانب الصوتي الذي يكشف عن مجاورات بيّنة بين acte و actant ، وللتمييز بين الإثنين أضاف الميم، وبعيدا عن مناقشة دلالة الميم في علاقاتها باللفظة التي تتطلب تخصصا وخبرة لغوية مؤثثة مرجعيا، حسب "السعيد بوطاجين" الذي ناقش المسألة من الجانبين الصوتي والمفهومي، وهو ما سيحدث ارتباكا لدى مستقبلي هذه المصطلحات المستحدثة، وإذا وجدنا ترجمة من نوع (مفاعل) فلأن المتلقي أشكل عليه المفهوم أولا [33]، حيث ورود مصطلح (Actant) بقاموس اللسانيات الموحد الذي أشرفت عليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مترجما إلى (فاعل حقيقي) والذي يقابله مصطلح (العامل) لدى الباحث، تحدث لبسا حقيقيا ليس من حيث الترجمة، لأن ذلك لا يحتاج إلى تدليل كيما نثبت المسافة بين المصطلح الغربي في سياقه التداولي وبين الفهم الوارد الموحد، يفترض أن يكون شاملا جامعا[34]، بينما يتفق كل من "لطفي زيتوني" و"السعيد بوطاجين" مع "رشيد بن مالك" في ترجمة هذا المصطلح -Actant - إلى " عامل" .

من كل هذه المفاهيم يمكننا أن نستخلص أنّ : العامل هو الذي يقوم بالفعل أي العاقل، بينما الفاعل هو الذي يقوم بالفعل لغير العاقل، إذ العامل يتعلق بمركزية الإنسان في السرد، فيما الفاعل يتعلق بالبطل في السرد [35]، حيث يورد "رشيد بن مالك" جملة من التوضيحات والشروحات حول ترجمته لهذا المصطلح:

1- فالعامل حسبه هو الذي يقوم بالفعل أو يتلقاه بمعزل عن كل تحديد آخر، وتشمل العوامل " الكائنات والأشياء ... التي تسهم في العملية".

2- قد يحيل العامل على التصور الخاص بالتركيب الذي يجزئ الملفوظ الأولي إلى وظائف (كالفاعل الموضوع ، المسند) بصرف النظر عن تحقيقاتها داخل الوحدات النظمية .

3 - يحل العامل في السيميائية الأدبية محل الشخصية لشموليته، فهو لا يغطي الكائنات الإنسانية فحسب، بل يغطي أيضا الحيوانات والأشياء والمفاهيم .

4- يميز بن مالك داخل الخطاب الملفوظ بين :

أ-عوامل التبليغ أو(التلفظ): الراوي، المروي له، المخاطب، المخاطب (الذي يشارك في بنية المحاورة)

ب- عوامل السرد: الفاعل / الموضوع ، المرسل/ المرسل إليه، من منظور نحوي حيث قد يكون العامل فرديا أو ثنائيا أو جماعيا .

5- يمكن أن يقوم العامل - أثناء تطور الخطاب السردي- ببعض الأدوار العاملية المحددة بوضعيته داخل السلسلة المنطقية للسرد (تعريفه التركيبي) وباستثماره الكيفي (تعريفه المورفولوجي)[36]

هـ- مصطلح (Narrativité) :

ورد مفهوم هذا المصطلح في " القاموس المعقلن في نظرية اللغة" كما يلي:

" A première vue, on peut appeler narrativité une propriété donnée qui caractérise un certain type de discours, et à partir de laquelle on distinguera les discours narratifs des discours non narratifs, telle est, par exemple, l'attitude de E. Penveniste qui oppose le récit historique (ou histoire) au discours (au sens restreint) , en prenant comme critère la catégorie de la personne (la non- personne caractérisant l'histoire, la personne – le "je" et le " tu" étant propre au discours) et secondairement, la distribution parteculière des temps verbaux[37] "

وقد ترجم المصطلح عند النقاد الجزائريين بالسّردانّي، والسردانّية، وعلم السرديات والسرديات[38]

وفيما يرى يوسف وغليسي أنّ " الأمثل لنا ولدى عدد غير قليل من الدارسين أن نعبر عن الثنائية الغربية (Narrativité, narratologie) بالثنائية العربية سرديات، سردية "[39] يعتبر" القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان"، أن مصطلح السرديات (Narratologie) كان من اقتراح " تودورف" هذا المصطلح في عام 1969م، وذلك لتدريس علم لم يوجد بعد، ألا وهو علم القصة."[40]

ويتفق "رشيد بن مالك" مع العديد من النقاد العرب في اقتراحه لمصطلح (السردية) كمقابل "Narrativité" على غرار "لطفي زيتوني" و"عبد السلام المسدي" و"يوسف وغليسي" ... حيث يفضّل في مفهوم هذا المصطلح من خلال الشروحات التالية التي أوردها في" قاموس المصطلحات السيميائي للنصوص ."

1- يطلق مصطلح السردية على تلك الخاصية التي تخص نموذجا من الخطابات، ومن خلالها نميز بين السردية والخطابات غير السردية.

2- إذا استندنا إلى التمييزات المقترحة من "بنفنسيت" و"جينيت"، يمكن أن نتبنى تنظيما متقاربا نسبيا حيث يتعلق المستوى الخطابي بالتلفظ، في حين يرتبط المستوى السردي بالملفوظ.

3- يحتوي المروي من الخطاب عموما على أحداث (حكاية) وأفعال بطولية أو غير بطولية، حيث كانت الحكايات في وصفها للأفعال المطردة - حكايات فلكلورية، أسطورية، أدبية- مصدرا للتحليل السردي لدى (بروب، دوميزيل، ليفي ستروس).

4- يستدعي الإعتراف بالتنظيم الخطابي الملازم (أو السردية في المعنى العام) طرح مسألة الكفاءة الخطابية (السردية).

فلقد أظهرت الدراسات الفولكلورية منذ عهد طويل وجود أشكال سردية شبه شمولية تتجاوز حدود الجماعات الألسنية.

5- في إطار المشروع السيميائي، تعتبر السردية المحررة من المعنى الضيق الذي يربطها بالأشكال الصورية للحكايات مبدءا منظما لكل خطاب، حيث تحدد البنيات السردية المستوى العميق لكل عملية سيميائية.

حوصلة:

الجدول التالي يحوصل المصطلحات المنتقاة، من خلال إيراد المقابل العربي لها عند " رشيد بن مالك" مع تبيان أوجه الإتفاق والإختلاف مع باحثين آخرين .

المصطلح بالفرنسية	المقابل/الترجمة بالعربية عند "رشيد بن مالك"	أوجه الإتفاق والإختلاف مع باحثين آخرين (في المقابل أو الترجمة)
Opposant	معارض	اتفاق في الترجمة مع " العجيمي" واختلاف مع "بنكراد" (معيق) و"المسدي" (مناوئ)
Isotopie	إيزوتوبيا	اختلاف مع "بوطاجين"، "وغليسي"، "فيدوح" و"محمد مفتاح" (تشاكل)، و"بنكراد" (تناظر) و"العجيمي" (القطب الدلالي)
Conjonction	وصلة	اختلاف مع "بوطاجين" (اتصال) و"المسدي" (رابط) و"العجيمي" (اتصال انعكاسي)
Actien	عامل	اتفاق مع "بوطاجين" و"لطفي زيتوني" واختلاف مع "المسدي" (مفاعل)
Narrativité	سردية	اتفاق مع "وغليسي"، "لطفي زيتوني" و"المسدي"

لقد آمن " رشيد بن مالك " على غرار العديد من النقاد الذين اشتغلوا على المناهج النقدية النصّانية أنّ المنهج النقدي يؤخذ بمصطلحاته، لذلك سعى من خلال مؤلفه (قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص) إلى " تزويد المشتغلين

في حقل السيميائية بالأدوات الإجرائية اللازمة لتحليل النصوص، وذلك أن المصطلحات التي اشتغل عليها الكاتب تمثل مفاتيح لمقاربة أي نص سردي فهي بمثابة الضوابط العملية التي يستأنس إليها الباحث في التحليل السيميائي"[41]

فقد عمد إلى تبسيط تعاريف المصطلحات في قالب لغوي قائم على الشرح والتحليل دون إطناب، كما أنّ رؤيته المنهجية لإنجاز مؤلفه الذي أقر بصعوبته كما أشار، جعله يعتمد كثيرا في ترجمته على السياق المعرفي والدلالي (الترجمة السياقية) دون العودة إلى جذوره اللغوية، وهو أسلوب قاصر في فهم المصطلح، " وقاصر أيضا على أن يمكّن الشخص الذي يقع على هذا المصطلح في قرائته، من أن يستعمله على الوجه المراد منه" [42]، كما أنّ فوضى الترجمة المصطلحية في الوطن العربي جعلت من الباحث يعمد في بعض المواضع إلى النقل المصطلحي المباشر، مثلما فعل مع مصطلحات: Isotopie: إيزوتوبيا وThématique: تيمي و Topique: طوبيقي ...

وبالرغم من الجهد الذي بذله الباحث في إنجاز هذا العمل، إلا أننا يمكن أن نسجل عليه الملاحظات التالية:

1- لم يخل المؤلَف من أخطاء في كتابة المصطلحات باللغة الإنجليزية، ومن ذلك ما نورده في الجدول التالي:[43]

المصطلح الخاطئ الوارد بالإنجليزية في القاموس	الصفحة	الصواب
- Wating	256	- Wanting
- Narrative syntax	217	- Narrative surface syntaxe
-Localisation	98	- localization
- Program	148	- Programme أو program
- Glossem	84	- Glossème

2- لقد حوى القاموس العديد من الأخطاء حتى باللغة العربية، (بعضها يظهر أنه مطبعي) وهو مأخذ آخر على المؤلف يفترض أنه قاموس ويتوجب في إعداده الحرص الشديد على مسألة سلامة اللغة، ومن أمثلة ذلك ما نوجزه في الجدول التالي:[44]

الخطأ الوارد باللغة العربية	الصفحة	الصواب
- **تعيين** (خطأ مطبعي)	17	- تحيين
- **الملائمة** (بين المستوى السطحي والمستوى العميق)	28	- الملاءمة
- **مُشحنة** بقيم جديدة	71	- مشحونة
- **تشيئ**	154	- تشيّؤ أو تشييئ
- ...غير أنّ لمصطلح السيميائية **جذور** عميقة	185	- جذورا

3- تناول الباحث 200 مادة اصطلاحية، منها 189 مادة مأخوذة من معجم (غريماس وكورتيس) بما يعني أنّ قاموس "رشيد بن مالك" استند على 94.5 % من المعجم المذكور، وهو ما أقره الباحث ذاته، غير أنّ ما يؤاخذ عليه هو أنه "مدين

لقاموس غريماس بقسط مفهومي كبير، لا يتجاوز نصيبه – من خلاله- حد الترجمة المجتهدة؟ ويبدو ذلك بوضوح في بعض المواطن التي كانت تتيح له إمكانية التحرر من قبضة غريماس، إلاّ أنه فضّل الاستمرار في الولاء له"[45]و من ذلك :

أ- لجوءه إلى إيراد الأمثلة ذاتها في قاموس "غريماس"، حيث كان بإمكانه استبدالها وفق ما يتماشى مع البيئة العربية أو الجزائرية.

ب- نقله الحرفي عن "غريماس" وسقوطه حتى في الخلط بين الفعل والاسم، وها هو يورد مفهوم مادة " Thématique" بالشكل التالي:

" يفهم من الدور التيمي تمثيل موضوع أو مسار تيمي عاملي (المسار " اصطاد" يمكن أن يختزل في دور الصياد)..."[46]

حيث استبدل الفعل (اصطاد) بالاسم (الصياد)؟

4- بالرغم من أن "رشيد بن مالك" نفسه عاين عن قرب ذلك الإضطراب المصطلحي لدى العرب المشتغلين على موضوع المصطلحية وعانى منه، بل أنه شخّص مظاهر هذه الفوضى كما أشرنا سابقا في ثلاثة مظاهر تجلت في:

- الترجمات العديدة للمصطلح الواحد .
- الترجمة الوحدة لمصطلحين مختلفين .
- الترجمتان المختلفتان للمصطلح الواحد لدى المترجم الواحد .

إلّا أنّ الباحث ذاته وقع في هذه الفوضى ومن أمثلة ذلك:

أ- إيراده ترجمات عديدة لمصطلح واحد كإيراده ترجمة مصطلح "manipulation" بـ "استعمال" في (قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص – ص 102-) وبـ " إيعاز" في (مقدمة في السيميائية السردية – ص 34 و37)

ب- ترجم الباحث أيضا مصطلحين مختلفين ترجمة واحدة، ومن ذلك إيراده لمصطلح " الإضمار" تقابلا لمصطلح (Ellipse) (ص 63) ولمصطلح (Virtualisation) (ص 256).

5- لم يبذل الباحث جهدا كافيا في إيجاد المقابل العربي للعديد من المصطلحات، سالكا الطريقة الأسهل (التعريب) ومن ذلك مصطلحات: إيزوتوبي، موتيف، سيمنتيم، سيم، سيميد، سيميولوجا

فقد كان بإمكانه مثلا، أن ينقل مصطلح" إيزوتوبيا " (Isotopie)إلى (التناظر) أو (التشاكل)... [47]

وبرغم كل هذه المآخذ، فقد قدم"رشيد بن مالك" جهدا علميا لا ينكره إلاّ جاحد في حقل علمي إتسم في سياقه التاريخي والعلمي آنذاك بالإضطراب مع قلة البحوث ذات التوجه الشكلاني السيميائي (الغريماسي)، وحسبه أن عُد قاموسه باكورة التأليف المصطلحي بهذا الحقل الملغوم ومن الإجحاف بمكان أن نقلل من جهده، بل إننا نأمل أن يكون لهذه الأعوام التي مرت على صدور هذا القاموس أثرها الإيجابي لإعادة المراجعة من قبل الباحث، في الكثير من الملاحظات التي سجلها العديد من الدارسين الذين تناولوا هذا المؤلف، حتى يصدر في طبعة لاحقة أكثر تنقيحا.

الهوامش :

1. رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 69
2. ينظر: رشيد بن مالك، تجربتي في مشروع ترجمة القاموس المعلقن في نظرية اللغة
3. رشيد بن مالك، م.ن

4. عبدالحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردي، دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة و دمنة، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران 2003م، ص 05
5. ينظر رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 71-72
6. -منتهى الحراحشة، من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآدب والعلوم الانسانية، مج 6، عدد2، جامعة اليرموك، أربد، الأردن، 2009، ص25.
7. -ينظر ابراهيم حسين عبد الهادي الفيومي، اشكالية المصطلح النقدي في مواجهة النص الروائي، مجلة العلوم الانسانية، عدد 22، منشورات جامعة دمشق ، يونيو 1990، ص59- 60.
8. -ينظر: عبد الله ابراهيم، المتخيل السردي، مقاربة نقدية في التناص و الرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي ط1، 1990 ص 07 -15.
9. رشيد بن مالك، إشكالية ترجمة المصطلحات في البحوث السيميائية العربية الراهنة، مجلة بحوث سيميائية،مج01، ع01 جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، جوان2019، ص من 43إلى64
10. م ن ، ص ن .

رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 72

11. Voir : Jean claude dubois , introduction à la lexicographie de dictionnaire librairie larousse paris 1971,p8
12. ينظر: رشيدبن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 05- 06.
13. ينظر: م. ن، ص07.
14. ينظر: م. ن، ص 10-11-12.
15. محمد فليح الجبروي، الإتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات ضفاف ومنشورات الإختلاف الجزائر، ط1 2013م، ص 190.
16. رشيد بن مالك، تجربتي في مشروع ترجمة القاموس المعلقن في نظرية اللغة، ص04.
17. م. ن، ص.ن.
18. -رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 72.
19. -A. J. Greimas , j. courtés, semiotique- dictionnaire raisonné de la théorie du langage , ha-chette université, paris 1986, p 262
20. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 124
21. رشيد بن مالك، تجربتي في مشروع ترجمة القاموس المعقلن في نظرية اللغة، ص 28
22. A.J.Greimas, j. courtes, dictionnaire raisonné de la théoire du langage, p 197
23. -ينظر : دومنيك منغنو، باتريك شارودو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري و حمادي صمود سلسلة اللسان ، دار سيناترا، تونس، 2008، ص 322
24. -رشيدبن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص93-94

25. ينظر: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية ، تر: حسن حمزة، مر: سلام بزي ، المنظمة العربية للترجمة، ص 327

26. -A. J. Greimas , j. courtés, semiotique- dictionnaire raisonne de la théorie du langues ,p 161

27. سهام أوصيف، تأصيل النقد السيميائي عند "رشيد بن مالك"-المنهج والمصطلح - بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي المعاصر إشراف: السعيد بوطاجين ، المركز الجامعي " خنشلة" 2009/2008، ص 177 .

28. ينظر: إبن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مج6، ج 53،ط1998،1، ص4850-4852

29. رشيد بن مالك ، قاموس التحليل السيميائي للنصوص، ص 40-41

30. A. J. Greimas , j. courtés, semiotique- dictionnaire raisonne de la théorie du langagep.3

31. ينظر: جبر الدبرنس ، قاموس السرديات، تر: السيد إمام ، ميريت للنشر والمعلومات ، ط1، 2003، ص 08-09

32. م. ن ، ص 161-162

33. ينظر. م. ن، ص 162-163

34. -ينظر: لعجال لكحل ، المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك، مخطوط رسالة دكتوراه ، إشراف: هاجر مدقن، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة ورقلة، 2016 /2017، ص 80

35. ينظر رشيد بن مالك، قاموس مصطلحيات التحليل السيميائي للنصوص، ص 15-16

36. A. J. Greimas , j. courtés, dictionnaire raisonné de la théorie du langage p.247.

37. ترجمه عبد الملك مرتاض إلى السّردانّي (ينظر: الكتابة من موقع العدم، مساءلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب، وهران 2003، ص 189) وإلى السردانّية ، ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص231 وترجمه عبد الحميد بورايو إلى " علم السرديات"، ينظر: عبد الخميد بورايو: البطل الملحمي والبطل الصحية في الأدب الشفوي الجزائري: دراسات حول خطاب المرويات الشفوية (الأداء، الشكل، الدلالة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 02، وترجمه أحمد يوسف إلى السردية، ينظر : أحمد يوسف السيميائيات وفلسفة المعنى، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة ، إشراف عبد اللاوي محمد، قسم الفلسفة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2003- 2004، ص 28

38. يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 279- 286

39. ديكرو أوزوالد، سشفايفر جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ط2، تر، منذر العياشي المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان ، 2007 ص 206

40. عبد الحميد بورايو، قاموس التحليل السيميائي للنصوص، (كلمة تقديم)، ص 07 .

41. روبرت ثاوليس، التفكير المستقيم والتفكير الأعوج، ترجمة: حسين سعيد الكرمي، مراجعة: صدقي عبد الله حطاب، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأدب، الكويت، أغسطس، 1979م ص101.

42. ينظر: يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، ص 331-332.

43. م.ن. ص 330- 331 .

44. م.ن. 321-322 .

45. رشيد بن مالك، قاموس التحليل السيميائي للنصوص، ص 237 .

46. ينظر: يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، ص 328 .